السنة الثانية ماستر/لسانيات الخطاب/ د.بن شاعة

المقياس:الخطاب الديني

المحاضرة الأولى:الدين و التدين(الفروق المعرفية و التطبيقية)

تمهيد

يعد الخطاب الديني من القضايا التي بدأ الاشتغال عليها، لما له من ودور في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، كما يعتبر الدين من أهم العناصر التي ساهمت في قيام الحركات الاجتماعية لارتباطه المباشر بمشاكل الواقع وتحدياته. وكونه شكل من أشكال الصراع الاجتماعي والأيديولوجي والحضاري، فصار موضوعا للباحث والسياسي، والإعلامي، وقد مثل الخطاب الإسلامي بؤرة ذلك الاهتمام في الخطاب الديني، لامتلاكه أهمية في التحولات العالمية، إلى جانب المد الديني الذي طال العالم الإسلامي والغربي على السواء، فظهرت دراسات وآراء متباينة، راح بعضها يفسر، وبعضها يبرر، بينما طرح البعض فكرة تجديد الخطاب الديني الإسلامي. من هنا اعتمدت الدراسة الخطاب الديني موضوعا لها؛ واتجهت نحو البحث في مفاهيم الخطاب الديني، وتقديم صور متنوعة له، تمثلها أطياف مختلفة، فرضتها الفترة التي ينتمي إليها، حيث كانت فاعلا قويا إلى جانب فواعل أخرى في تشكيل ملامحه. وتعمد الدراسة استجلاء الرؤية الكامنة في المفاهيم موضوع الدرس، بما تقدمه من أطروحات فكرية، وما تثيره من قضايا ملتسقة بالحياة اليومية للإنسان، ومن ثم الوصول إلى الرسائل وعلاقتها بالسياق الاجتماعي التي يطمح المفهوم إلى إرسالها، وبناء رؤية تجديدية للخطاب الإسلامي. ومن ثم كان التعامل مع الخطاب الديني وفق استراتيجية منفتحة على معارف حسب ما تستدعيه الضرورة، كاعتماد اللغة في تفكيك المفهوم، لما تحمل من إيديولوجيا، وارتباطها بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي أطر هذا المفهوم.

الدين(لغة)

يرجع أصل كلمة الدِّين –بكسر الدال– إلى الفعل "دان" و "يدين"، ودان بدينُ أيْ: انتمى وآمَنَ بهذا الدين ومعتقداته، وجدير بالقول إنَّ كلمة الدِّين في اللغة تُستخدم في مواطن عدَّة، ولها معانٍ كثير، ومنها: الملك أو الجاه، قال تعالى في سورة يوسف: "مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ." [الآية 76]، ومن معاني الدِّين أيضًا الحكم أو الشرع، قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" [الآية 39]، والدِّين هو اسمٌ من أسماء يوم القيامة، قال تعالى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" [الآية 4]

مفهوم الدين

مفهوم الدين بشكل عامّ هو الخضوع، يترافق هذا الخضوع مع التنفيذ والالتزام بأوامر معينة، والامتثال لأفكار ومبادئ ينص عليها الدين الذي يؤمن أو يدين به الإنسان، ويُعرَّف مفهوم الدين أيضًا بأنَّه اعتقاد الإنسان بقوة كبيرة مقدسة فوق الطبيعة، إضافة إلى وجود أحكام تنتمي إلى هذه القوة يلتزم بها الإنسان في كلِّ حياته، ويرتبط مفهوم الدين في الغالب الأخلاق، فالأديان بمجملها تدعو إلى الأخلاق الحسنة الطيبة؛ لأنَّها لو لم تدعُ إلى الأخلاق الطيبة للاقت نفورًا كبيرًا من الناس، لأن النفس الإنسانية بالفطرة تألف الخُلق الحسن وتنبذ كلَّ سوء وكلَّ تصرف غير أخلاقي، وقيلَ أيضًا في تعريف مفهوم الدين إنَّ الدين هو مجموعة من الأفكار التي من شأنها أن تطرح إجابات مقنعة على البشر للأسئلة الوجودية والأسئلة التي تُطرح في علاقة البشر بالكون المحيط، والتي من شأنها أيضًا أن تطرح إجابات مقنعة –إلى حد ما– بفكرة الموت والحياة بعد الموت التي حيّرت الإنسان منذ قديم الزمان. وهذه التعريفات كلُّها تعريفات قائمة على آراء مطروحة من قبل بعض المفكرين، فلم يتفق العالم على تعريف موحَّد ثابت لمفهوم الدين، ففكرة الدين المرتبطة بفكرة الإله الموجودة منذ آلاف السنين، وكلِّ مفكر يعرف مفهوم الدين وفق ما يؤمن به، لذلك فقد عُرِّف الدين من منطلق إيمانيّ وعُرِفَ روحانيًا وإلحاديًا وعقلانيًا، والله تعالى أعلم.

الدين مجموعة أفكار وآراء ومعتقدات مرتبطة ببعضها البعض بطريقة تُقنع مُعتنقيها بتفسير وجود الكون والحياة وعلاقة الإنسان بهما، وغالبًا ما يشملُ الدين ما يسمّى بالعلوم الغيبية غير مرئية يؤمن بها الإنسان دون دليل سوى إيمانه بأنها صحيحة، وتقسم الأديان إلى قسمين: ديانات سماوية أنزلها الله تعالى على أنبيائه على فترات متباعدة من الزمن لهداية البشر، وديانات وضعية وضعها بعض البشر استنادًا إلى ثقافات وحضارات سابقة جمعوا فيها أفكار ومعتقدات وبثُّوها بين الناس على أنَّها أديان.

الديانات الأكثر انتشارًا في العالم

لقد مرَّت عبر تاريخ البشرية أديان كثيرة، فآلاف الأقوام وعشرات آلاف المعتقدات التي مرَّت على تاريخ البشر منذ نبي الله آدم –عليه السلام– وهذا المعنى موجود في القرآن الكريم حيث قال تعالى في سورة النحل: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" [الآية 36]، وتعدّ الديانة المسيحية هي الديانة الأكثر انتشارًا في العالم اليوم، حيث يدين بالمسيحية

اليوم حوالي مليارين ومئتي مليون إنسان على سطح الكوكب، ثمَّ تأتي بعدها الديانة الإسلامية والتي يدين بها ما يقارب المليار ومئة مليون مسلم في العالم، وتعدُّ الهندوسية من الديانات الأكثر انتشارًا في العالم حيث يدين بها حوالي المليار نسمة، والبوذية أيضًا يدين بها ما يقارب النصف مليار نسمة حول العالم، والديانة اليهودية أيضًا من الديانات المنتشرة في العالم وهي ديانة من الديانات السماوية، وجدير بالذكر إنَّ اليهود يتحكمون بمناصب حساسة في العالم، لذلك ذاع صيت هذه الديانة، وهي الديانة التي جاء بها نبي الله موسى –عليه السَّلام– والقائمة تطول؛ فالديانات كثيرة ويقدّر عددها بالآلاف، ولكنَّ هذه الديانات هي الديانات الأكثر انتشارًا في العالم .

مفهوم التدين

يمثِّلُ مفهوم التدين التطبيق العملي لما جاء به الدين من تعاليم وقواعد وضوابط وتشريعات سواءً كان الدين أحد الديانات السماوية أو أحد الديانات الوضعية، حيثُ يُسمى اتِّباع البشر للتعاليم الدينية والتقيُّد بها وتطبيقها بالتدين، فهناك فرق كبير بين مفهوم الدين ومفهوم التدين، فالدين هو النص الثابت والتدين هو تطبيق هذا النص وتحريكه وجعله عملًا يقوم به الإنسان، وبالنسبة للإسلام مثلًا فإنَّ الدين الإسلامي هو ما جاء به من نصوص شرعية ثابتة تمثَّلت في كتاب الله وسنة نبيِّه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وتطبيق ما جاء به الإسلام هو ما يسمى مفهوم التدين، وفي الحديث عندما سُئلت عائشة –رضي الله عنها– عن خلق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصَفت تديُّنه أي تطبيقه للإسلام بأرقى تعبير عندما قالت: "كان خلقه القرآن" ، وقال تعالى في محكم التنزيل: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} [العنكبوت،الآية 45]، فالتدين الصحيح لا يقتصر على تطبيق العبادات فقط وإنَّما ينسحبُ ذلك على تحقيق غاية هذا العبادات كما ورد في الآية، وكما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدًا. فالتدين يشملُ تطبيق تعاليم الدين وتحقيق غايتها بالأخلاق الحسنة والإحسان إلى الناس والتقوى في السر والعلن.

التدين المغشوش بعد أن تمَّ التعرف على مفهوم التدين سيُشار إلى موضوع التدين المغشوش، حيثُ يرجعُ بعض الناس انحرافات التدين إلى الدين نفسه وهذا خطأ كبير ناتج عن الخلط بين مفهوم الدين والتدين؛ لأنَّ انحرافات التدين تكون نتيجة التقصير في تطبيق تعاليم الدين أو التمسك ببعض التعاليم وترك التعاليم الأكثر أهمية، ورغم أن التدين وانحرافاته يشملُ جميع المجتمعات في البلاد الإسلامية إلا أنَّه يزداد وينقص حسب حركة الإصلاح وجهود أهل العلم والدعاة، والتدين هو الانعكاس الصحيح لتعاليم الإسلام دون حرج ودون عنت، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف157]، أمَّا ما يعتري المسلم من أخطاء وتناقض في التصرفات القائمة على فساد الشخص نفسه لا يتحمله الدين ولا المجتمع كاملًا ولا يمكن أن يشمل مفهوم التدين المغشوش كل متدين، وهذا من الأخطاء الناتجة عن انحرافات التدين نفسه.

الفرق بين الدين و التدين

ثمة فرق بين الدين و التدين يغيب عن عقول الناس فالدين يتشكل عبر معتقدات ثابتة مثالية لها طابع نهائي لا مراجعة فيه ،و إن كان كما يقول د.أحمد زايد قابلة للفهم المتجدد و التأويل المتجدد.

إنّ الدين حقيقة مطلقة قادمة من خارج الاجتماع البشري، و من تمّ غير قابل للتغيير .بينما التدين يشير إلى الطريقة التي يفهم بها الناس هذه المعتقدات ،فالإنسان هو الذات التي تتلقى الدين و تمارسه.

إنّ الدين يتضمن ما هو مطلق تابث (الله– الأخلاق)،لكن التدين كما يراه عبد الجواد ياسين هو ناتج عن التفاعل بين الدين أي الحقائق المطلقة و البشر،و هذا التفاعل يتم على المستويين الفردي و الجماعي،الذات التي لها تصورها المتفرد للمطلق الديني،و على المستوى الجماعي يتلون فهم الناس للدين.

إنّ التدين يبصم ببصمة الذات مرتين :عند إدراكه (تلقيه داخل الذات) و لدى التعبير عنه(تعديه خارج الذات).إذ لا يكون الشيء في ذاته بعد دخوله إلى الذات و خروجه منها هو الشيء ذاته، بل هو الشيء من منظور الذات المدركة. و هذا الدور الإيجابي للذات لا يعني إنكار وجود الشيء في ذاته،بل فقط تلوينه.

إذن التدين توجه داخلي لا تدل عليه المظاهر و الطقوس و لكنه شعور داخلي بالحب المطلق و الخير المطلق،ينعكس على أفعال الإنسان تجاه الآخرين.